قصة آية

35

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ

قالَ (تعالَى) :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران : ١٤٤]

عِنْدَمَا كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ ، أَرادَ الْمُشركونَ أنْ يُدْخِلوا الرُّعْبَ فى قُلوبِ الْمُسلمينَ ، فَفكَّروا فى حِيلَةٍ شَيْطانِيَّةٍ تُساعِدُهمْ على ذلكَ .

كانَ الْمُشْرِكونَ يَعْلَمونَ مَدَى حبِّ الْمُسلمينَ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ فأَرادوا أَنْ يَفْجَعوهمْ فِيه ، كما كانوا يعْلَمونَ أَنَّه يُوجَدُ في صُفوفِ الْمُسلمينَ بعْضُ ضِعافِ الإيمانِ الذينَ يتأَثَّرونَ بأَقَلِّ دِعايةٍ .

مالَ أحدُ الْمُشركينَ على أَخيه وقالَ له :

ـ يجبُ أنْ نَحْسِمَ هذه الْمَعركَةَ في أَسْرَعِ وقْتٍ مُمكنٍ .

فأَجابهُ في حَماسةٍ :

ـ وكَيْفَ ذلكَ ؟

فقالَ في غَيْظٍ :

ـ نَقْتُلُ مُحَمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ وبذلكَ يَنْسَحِبُ الْمُسلمونَ من الْمَعركَةِ ، لأَنَّ نَبِيَّهُمْ وقائِدَهمْ قدْ قُتِلَ .

فقالَ :

ـ لقدْ حاوَلْنا أنْ نَقْتُلَ مُحمداً أَكْثَرَ منْ مَرَّةٍ ولمْ نُفْلِحْ ، وأَشْهدُ أَنَّنَا لا نَسْتَطيعُ قتْلَهُ لأَنَّ هُناكَ مَنْ يَحْميه ، كما أنَّ أَصْحابَهُ يُفْدُونَهُ بِأَرْواحِهِمْ كما تَرَى .

ثم أَضافَ :

ـ ولكنْ عِندي فِكْرَةٌ ، سَتُحَقِّقُ ما نَصْبُو إليهِ .

فسأله فى لهفة :

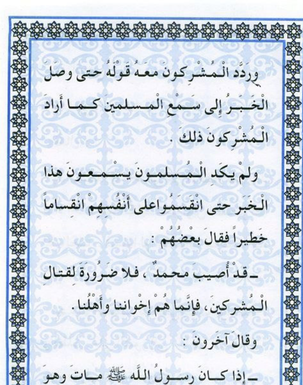
وما هى ؟

فقال :

إنَّ مُحمداً قد اختَفى عنِ الأنْظارِ فلمْ يعُدْ يراهُ أحدٌ مُنذُ انقلبتْ موازينُ المَعركةِ لصالحنا ، فماذا لو أشَعْنا أنَّ محمداً قد قُتِل ؟

ابتسمَ المُشرِكُ حتى بدتْ نواجِذُهُ ، وانطلقَ على الفورِ إلى ساحةِ المعركةِ وهو يقولُ بصوتٍ مُرتفعٍ :

ـ أيُّها الناسُ ، لقدْ قُتِل محمدٌ !



وردّد الْمُشْركون معهُ قوْلهُ حتى وصَل الْخَبَرُ إلى سَمْعِ الْمسلمينَ كما أرادَ الْمُشْركونَ ذلكَ .

ولمْ يكَدِ الْمُسلمون يسْمعونَ هذا الْخبرَ حتى انْقسَمُوا على أنْفُسِهِمْ انقساماً خطيراً فقالَ بعضُهُمْ :

ـ قدْ أُصيبَ محمدٌ ، فلا ضَرُورَةَ لقتالِ الْمُشركينَ ، فإنَّما هُمْ إخْواننا وأهْلُنا .

وقالَ آخرونَ :

ـ إذا كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ ماتَ وهوَ يُجَاهِدُ ، فأَوْلَى بنا أنْ نموتَ مِثْلَهُ في

ساحَة الْمَعْرِكَةِ حتى نلْحقَ به ، فواللَّه مايَطِيبُ لنا أَنْ نَعيش بعْد رسولِ اللَّه ﷺ .

وهرَبَ الْمنافِقونَ وضِعافُ الإيمانِ من الْمعركة بمجرَّدِ أنْ سَمِعوا هذا الْخَبرَ وقالوا :

ـ لماذا نَبْقَى نُقاتِلُ الْمُشركين إذا كانَ الرسولُ قدْ قُتِلَ ؟

وتَصَدَّى أَنسُ بنُ النَّضْرِ وبعْضُ الصحابَةِ للمنافِقينَ وضِعافِ الإيمانِ وحاولوا تَثْبِيتَهُمْ وإِبْقاءَهُمْ فى ساحَةِ الْمَعركة فقالوا :

ـ كيفَ تُولُّونَ أَدْبارَكُمْ للمشركينَ ؟! هل تُحارِبونَ منْ أَجْلِ مُحمدٍ أَوْ منْ أجلِ الدِّفاعِ

عنْ دينِ اللَّهِ والانتصارِ للْمَبادئِ ؟

فأَجابوا :

ـ فما مُقامُنَا هُنا إذا كانَ الرسُولُ قَدْ قُتِلَ ؟

فبكَى أَنسُ بْنُ النَّضرِ وقالَ فى تأثُّرٍ :

ـ بلْ ما فائدةُ حياتكمْ بعْدَ رسول اللَّه ﷺ .

فانْصرفوا جميعًا فى غيْرِ مُبالاةٍ دُونَ أنْ يسْتجيبوا لنُصْحه . فقالَ أنَس :

ـ اللَّهُمَّ إنى أبْرأُ إليكَ ممَّا يقولُ هؤُلاء ، وأَعْتذرُ إلَيْكَ ممَّا يقولُ هؤُلاء .

ثمَّ انْطلَقَ شاهِراً سيْفَهُ وهوَ يقولُ :

ـ إيهًا رِيحُ الْجنَّةِ !

وَمضَى يقاتِلُ في اسْتِبْسالٍ حتى اسْتُشْهِدَ وفيه أَكْثَرُ من ثَمانينَ طَعْنَةً .

ولَمَّا ازْدادَ انقِسامُ الْمُسلمينَ على أَنفُسِهِمْ أرادَ اللّهُ (تعالَى) أَنْ يُثَبِّتَ قُلوبَهم فأَنْزَلَ عليْهِمْ قوْلَه (تعالَى) :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾

وثَبتَ الْمُسلمونَ فلم يَضْعُفُوا ، والْتَفُّوا حَوْلَ الرسولِ ﷺ فَرِحينَ بنَجاتِه وراحُوا يُفْدُونَه بأَرْواحِهِمْ .

يقولُ الصَّحابيُّ الْجَليلُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

ـ لمَّا أشاعَ الكُفَّارُ أن الرَّسولَ ﷺ قدْ قُتِلَ وحَدثَ ما حَدثَ وانْهزَمَ جماعَةٌ مِنَ الْمُسلمينَ ، كنْتُ أوَّلَ منْ عرفَ رسولَ الله ﷺ ، رأيْتُ عَـيْنَيْـهِ منْ تحت دِرْعِـهِ تُزْهِران ! ويُضيفُ كعْبُ بنُ مالكٍ .

فنادَيْتُ بأعْلى صوْتي :

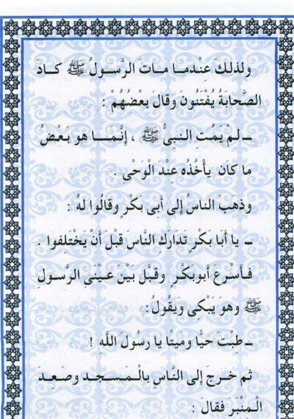
هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ .

فأشارَ إلَيْهِ الرَّسولُ ﷺ أنْ يَسكُتَ حتى لا يَهْتَدِيَ الْمُشركونَ إليه فسكَتَ ، ولكنَّ الْمُسلمينَ جَميعاً عَلِموا بأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ لمْ يَمُتْ فَحمِدوا اللَّهَ وشكَروهُ على ذلكَ .

وفى هذه الآية عتابٌ من اللّه (تعالى) للمُنهزمين الذين ولّوا الأدبار، حيث لم يكنْ لهمْ أنْ يفعلوا ذلك حتى وإنْ قُتِلَ الرسولُ ﷺ أوْ ماتَ.



إنَّ اللّهَ (تعالى) أرادَ أنْ يُعلِّم المُسلمين منْ خلال هذه الآيةِ أنَّ الدَّعْوَةَ إلى اللّه ليْستْ دعْوةَ أشْخاصٍ، ولكنَّها دعْوةٌ ثابتةٌ لها قِيَمُها ومَبادئُها، لا تموتُ إذا ماتَ الشَّخصُ ولا تتأثَّرُ إذا تأثَّر، ولكنها كلمةٌ باقيَةٌ، أصْلُها ثابتٌ وفرْعُها فى السَّماءِ تُؤْتى أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذْنِ ربِّها.



ولذلكَ عندمـا مـاتَ الرَّسـولُ ﷺ كـادَ الصَّحابةُ يُفْتَنُونَ وقالَ بعْضُهمْ :

ـ لمْ يَمُتِ النبيُّ ﷺ ، إنَّمـا هو بَعْضُ ما كانَ يأْخذُه عندَ الوْحىِ .

وذَهبَ الناسُ إلى أبى بَكْرٍ وقالُوا لهُ :

ـ يا أبَا بكْرٍ تدارَكِ النَّاسَ قبلَ أنْ يخْتلفوا .

فـأسْرعَ أبوبكْرٍ وقبَّلَ بيْنَ عـيْنَىِ الرَّسـولِ ﷺ وهوَ يَبْكِى ويَقُولُ :

ـ طِبْتَ حيًّا وميتاً يا رسُولَ اللَّهِ !

ثم خـرجَ إلى النَّاسِ بالْـمَسـجـدِ وصَـعـدَ الْـمنْبرَ فقالَ :

ـ مَنْ كانَ يعْبُدُ اللّهَ فإنَّ اللّهَ حَيٌّ لا يموتُ ،

ومَنْ كانَ يعبُدُ مُحَمَّدًا فإنَّ مُحمدًا قدْ ماتَ !

ثم تَلا قوْلَهُ (تعالى) :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قدْ خلَتْ مِنْ قبْلِه الرُّسُلُ ... »

ولمْ يكَدِ الصحابةُ يسْمعونَ هذه الآية ، وكانَ منْ بينِهم عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ حتى قالوا :

ـ واللّهِ ، لَكأَنَّنا لمْ نقْرأْ هذهِ الآيةَ أوْ نَسْمعْ بها منْ قَبْلُ !

وتذكَّرَ عمرُ بنُ الخطابِ خطَأَهُ حينَ زَعَمَ أنَّ الرسولَ ﷺ لا يَموتُ إلا بعْدَ أنْ يُظهِرَ اللّهُ

أمْرَ الْمُنافقينَ . فصعِدَ عُمَرُ الْمِنبرَ وقال :

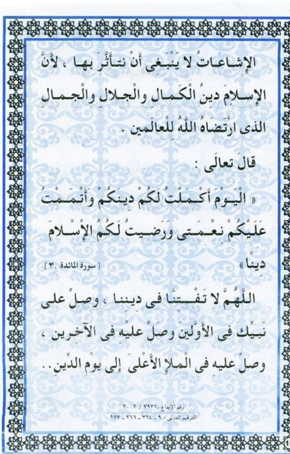
ـ أمَّا بعْدُ ، فإنِّى قلْتُ لكم أَمْسِ مقالَةً ، وإنَّهـا لَمْ تكُنْ كـمـا قُلْتُ ، وإنى واللَّه مـا وجَدْتُ الْمـقـالَةَ التى قُلْتُ لكمْ فى كِتـابٍ أنْزَلَهُ اللَّهُ ولا فى عَـهْـدٍ عَـهِـدَهُ إلىَّ رسولُ اللَّه ﷺ حـتى نَموتَ نحنُ قَـبْلَهُ . فاخْتارَ اللَّهُ (عزَّ وجَلَّ) لرسولِه الذى عنْدَهُ على الَّذى عنْدَكُمْ . ثم أَوصَى الْـمُسلمينَ قَـبْـلَ أنْ يَنزِلَ مِنْ علَى الْمِنبَـرِ بقَـوْلِه :

ـ وهذا الْكتابُ الذى هَدَى اللَّهُ به رسُولَهُ، فخذُوا به تهتدُوا لِمَا هُدِى له رسُولُ اللَّه ﷺ .

إنَّ الْمَوْتَ هو نهايةُ كلِّ حَيٍّ ، فكلُّ الناسِ يَموتُونَ حتى الأَنْبِياءُ والرُّسلُ ، ولا يبْقَى إلاَّ اللَّهُ (تعالَى) الْحَيُّ الْباقى الذى لا يموتُ .

وهذه الْحَقيقَةُ تملأُ قلْبَ الْمُسْلمِ بالشَّجاعَةِ والإقْدامِ ، وتغْرسُ فيه التَّضْحيَةَ والْفداءَ للّه ودينِ اللّه ، لأَنَّ حياتَهُ ومَماتَهُ بيدِ اللّهِ وَحْدَهُ .

كذلكَ فإنَّ الإشاعَاتِ التى يُروِّجُ لها أَعْداءُ الإسْلامِ منْ وقْتٍ لآخَرَ بغَرَضِ مُحارَبَةِ الإسْلامِ والْمُسلمينَ ، يجبُ أنْ نكونَ على يَقظَةٍ منْها ، ومَهْمَا كانتْ هذه



الإشاعات لا ينبغي أن نتأثَّر بها ، لأنَّ الإسلام دين الكمال والجلال والجمال الذي ارتضاه الله للعالمين .

قال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » [سورة المائدة ٣]

اللَّهُمَّ لا تفتنا في ديننا ، وصلِّ على نبيِّك في الأولين وصلِّ عليه في الآخرين ، وصلِّ عليه في الملإ الأعلى إلى يوم الدين . .

رقم الإيداع ٧٩٣١ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي : ٩ ـ ٧٦٤ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧